العَقْلُ الأَداتـيُّ
مِن الدُّونِيَّةِ الأَخلاقِيَّةِ إِلَى الإِرهَابِ الصُّهيُونّي وأَكذُوبَةِ التَّفَوُقِ العِرقِيّ

■ د. محمود كيشانه[1]

ملخّص

يُحاول هذا البحثُ أن يُبيّنَ المقصود من العقل الأداتي، مُبينًا أثره السيئ في إشاعة اللا أخلاقيـة ودوره الخطير في الإرهاب الصهيوني، وعلاقته بقضيَّةِ التَّفوق العِرقي، عامدًا إلى بيان أثر الفلسـفة الماديَّةِ الغربيَّةِ في تشكيله وتوجيهه هذه الوجهة، مقارنًا بين جوهره في هذه الفلسـفة، وبين وجودِه في العقليَّـة اليهوديَّة الصُّهيونية. فالعقل الأداتيّ في الفلسفة الماديَّة هو ذلك العقل الأداتي الذي انطلقت منه العقليَّةُ اليهوديَّةُ منذ بدء نشـأتها، فالاهتمام بالوسـيلة التي يُتحصَّلُ من خلالها على الهدف، بغض النظر عن اتفاق هذا الهدف مع المبادئ الإنسـانية والضمير الإنسـاني، ومن ثَمَّ فقد أرجـع البحثُ اللا أخلاقيَّة والإرهـابَ ودعوى التفوقِ العِرقـي في المنظور الغربي والمنظور اليهودي الصُّهيوني إلى هذا العقل.

الكلمات المفتاحية:
اللا أخلاقية، اليهودية، التفوق العرقي، المادية الغربية.

1 - دكتوراه في الفلسفة، جامعة القاهرة.

مُقَدمَة

لا شــكَّ في أنَّ هناك حالةً من المُواءمَة بين العقيــدة اليهوديَّة والفكر الصُّهيوني من جانب، وبين الفلســفة الماديَّة الغربيَّة من جانب ثان. فهما ينطلقان من أفكار مُشتركة وأساسٍ فَلسفيّ وأخلاقــيّ واحد لا خلافَ عليه، تحقيقًــا لأهداف ومرام تضمنُ لهــم التَحكُّمَ في العالم دون مراعاة لعقل أو أخلاق أو أبعاد إنســانيَّة. فالتيار اليهــودي الصُّهيوني والتيار المادي الغربي لا يألــوان جهدًا في محاولة الإجهاز على هذا العالم؛ اســتنادًا إلى مرتكــزات عرقيَّة ولا أخلاقيَّة وعقلٍ مُغيَّب.

هــذان التياران يتبنيان نظريةَ العقلِ الأداتيِّ، وهو ذلك العقل الذي يهتمُّ بالوســيلة دون النظرِ إلى المضمون أو جوهرِ الغايات، فكلٌّ من الفكر اليهوديّ الصُّهيوني والفلســفة الماديَّة الغربيَّة يبحثان في قضيَّة ما ويحاولان حَلَّها بصورة مباشرة، دون النَّظر إلى مضمون هذه الحلول هل هي حلول إنسانيَّة أخلاقيَّة أم غير أخلاقية؟!

ومِــن هنا كانت أهميَّةُ هذا الموضوع تكمن في بيان الأســس الفلســفيَّة والأخلاقيَّة والأفكار المتوائمــة بين العقيدة اليهوديَّــة الصُّهيونية من جانب والفكر الغربي المــادي في ظلّ العقلانيَّة الأداتيَّة أو العقل الأداتي المُشــبع بتحقيق الأهداف ولو على حســاب القِيَم الأخلاقيَّة والمبادئ الإنسانيَّة، وكيف كان لهذا العقل الأداتي تأثيره في قضايا: اللا أخلاق، التفوق العرقي، الإرهاب الصهيوني والمصالح المتبادلة؟

ومن ثمَّ فإنَّ الإشكاليَّةَ الرئيسةَ لهذا الموضوع تقوم على تساؤل مهم مؤداه: ما أثر العقل الأداتي في غياب الأخلاقيَّة والإرهاب الصُّهيوني وقضيَّة التَّفوق العِرقي في الغرب؟ وكيف صنع العقل الأداتي تَوأمة بين الغرب المادي واليهوديَّة الصُّهيونيَّة؟

وفي ضَوء هذه الإشكاليَّة الرئيسة تتحدد محاورُ موضوع البحث، وهي:

أ- مُقدمة
ب- العقل الأَداتي بين العقيدَة اليهوديَّة والفلسفة الغربيَّة.
ج- اللا أخلاقية بين الفلسفةِ الغربيَّةِ واليهوديَّةِ الصُّهيونيَّة.
د- قضيَّةُ التَّفوق العِرقِي.
ه-العقل الأداتي والإرهاب الصُّهيوني.
و- المصالح المُتبادَلة بين الصهيونيَّة والحضارة الغربيَّة.
ز- النَّتائج.

علمًا بأنَّ المنهج المُتَّبع هو المنهج التَّحليلي النَّقدي الذي يُحلل القضايا للكشف عن مكنونها وعمَّا تنطلق منه من مواقف، ممزوجًا بالنَّقد اللَّازم من النَّاحيَّة المعرفيَّة العِلمية والدينيَّة العَقَديَّة.

أَوَّلاً- العَقلُ الأَدَاتيُّ بَينَ الفَلسَفَةِ الغَربيَّةِ وَاليَهُوديَّةِ الصُّهيُونيَّة

العقــل الأداتي: هو ذلك العقل الذي يهتمُّ بالوسـيلة التي تُمكنه من تحقيـق أهدافه وغاياته دون النَّظـرِ في جوهر هـذه الغاياتِ وحقيقة هذه الأهـداف[1]. وهذا الأمر يقـود إلى شيءٍ من الخُطورة بمكان، لأنَّه في سـبيل تحقيق أهدافه وغاياته لا يهتمُّ بأيّ أبعادٍ إنسانيَّة ولا يحترم القِيَم الأخلاقيَّـة، فهو عقـلٌ نفعيٌّ في المقام الأول. ومن ثمَّ فإنَّ هذا العقـلَ له توجهٌ خاص في رؤيته للعالم، وأسـلوبٌ في التفكير يختلـف عن غيره. ويظلُّ هذا النوعُ من العقـل تحتَ طائلة النَّقد لما يَنطَّوي عليه من مُنطلقَات لا تناسـب معاني الإنسـانية في قِيَمها وأخلاقيَّاتها، ولذا فقد كان مسارُ تحليل ونقد عند عدد من المفكرين الغربيين أنفسهم، مثل: (ماكس هوركهايمر ـــــ Max Horkheimer)[2] و(تيـودور أدورنـو Theodor W. Adorno)[3] في كتابهـما «جدل التنوير»، و(هوركهايمر) في كتابه «أفول العقل»[4]، و(هربـرت ماركيوز ـــــ Herbert Marcuse)[5] في

١ - عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٢، ص٢١.
٢ - فيلسوف واجتماعي ألماني، من أشهر رواد مدرسة فرانكفورت الفلسفية.
٣ - فيلسوف واجتماعي ألماني وعالم نفس، من أشهر رواد النظرية النقدية في مدرسة فرانكفورت الفلسفية.
4 M. Hokhiemer: The Eclipse of Reaso , p 7.
٥ - فيلسوف ومفكر ألماني من رواد فلسفة فرانكفورت.

كتابه «الإنسان ذو البعد الواحد»[1].

وقد «حاول (هابرماس) أن يستخلصَ السِّمات العامَّة للعقل الأداتي ويُبيّن الطريقةَ الاختزاليَّةَ التي يُمارسها بحق الطَّبيعة والإنسان، فالعقلُ الأداتي يَنظر إلى الطبيعة والواقع من منظور التَّماثُل ولا يهتـم بالخُصوصية، كما يحاول العقلُ الأداتي تفتيـتَ الواقع إلى أجزاء غير مترابطة، وينظر إلى الإنسان باعتباره مجرد جزء يُشـبِه الأجزاء الطبيعية الماديَّة، فالإنسان بالنسبة للعقل الأداتي شيءٌ ثابتٌ وكميٌّ»[2].

ومن ثمَّ فإنَّ هذا النوع من العقلِ يهتمُّ بالإجابة على السؤال «كَيف؟»، دون الإجابة على السؤال «ما النتائج المُترتبة على؟»، وبالنَّظر إلى الحكومات الغربيَّة المُعاصرة نجدها دائمًا تغوصُ في بحرٍ من العقل الأداتي، ومن ثمَّ فقد شاع في المجتمعات الغربيَّة الماديَّة المُقيتة التي غذَّتها إضافة إلى ذلك الفلسفات المادية الغربية. هذا العقل كان محورًا للدراسة من قبل مدرسة فرانكفورت -وأهم أعلامها (هابرماس ـــــ Habermas)[3]- التي نظرت إليه على أنَّه يقوم على رافدين: الأوَّل، الانفراد في أسلوب رؤية أتباعه للعالم. الثَّاني، تصورهم للمعرفة النظرية[4]. لعلَّ هذا هو ما دفع (هابرماس) إلى بيان أثر العقل الأداتي على الرأسماليَّة الغربيَّة الحديثة، التي اهتمت بالأهداف والغايات دون أي اعتبارٍ قِيَمي أخلاقي، واللجوء إلى كل ما هو مادي، ومن ثمَّ تجسدت عقلانيَّةُ هذا العقل في مجال الصناعة والتكنولوجيا[5]، كونه المجال الخَصْب الذي لا يستطيع هذا العقل الأداتي العيش بدونه. ومن النتائج المترتبة على ذلك «أنَّ العقلَ الأداتي يصبح عاجزًا تمامًا عن إدراك العمليَّات الاجتماعيَّة والسياسيَّة والتاريخيَّة في سياقها الشامل الذي يتخطى حدوده المباشرة، بل إنَّه يعجز تمامًا عن إدراك أي غايات نهائية أو كُليات متجاوِزة للمُعطيات الجزئية الحسيَّة والمعطيات الماديَّة

---

١ - حسام الدين فادي: نقد هابرماس للعقل الأداتي.. محاولة لتنمية البعد التواصلي للعقل الإنساني، على الرابط التالي: >https://www.researchgate.net/publication/359847456

٢ حسام الدين فياض: فلسفة هابرماس.. نقد أسس العقلانية الأداتية، دراسة منشورة على الرابط التالي:

<https://fikrmag.com/article_details.php?article_id=1547>

٣ - فيلسوف واجتماعي ألماني معاصر، من أهم منظري مدرسة فرانكفورت الفلسفية.

٤ - إيان كريب: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ص ٣١٥.

٥ - حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت «النظرية النقدية التواصلية»، ص ١٣٣.

الآنية. ولذا يمكن تسميته بالعقل الجزئي، أي أنَّه يُصبح عاجزًا تمامًا عن تحقيق أي تجاوزٍ معرفيّ أو أخلاقيّ».[1] وربما كان هذا العوار واحدًا من الأسباب التي أدت إلى نزوع (هابرماس) إلى ما اصطلح على تسميته بالعقلِ التواصليّ، الذي يحاول به الوصول إلى تواصلٍ إنساني بَنَّاء[2]. ومن ثمَّ «فإن هذا العقلَ يتجاوز العقلانيَّة الغربيَّة التي أعطت أولوية مطلقةً للعقلِ الغَائي، والتي تهدف إلى تحقيق مصالح وغايات معينة، فهذا العقل يبنى على فعل خلّاق يقوم على الاتفاق بعيدًا عن الضغط والتعسف وهدفه بلورة إجماع يُعبر عن مساواة داخل فضاء عام ينتزع الفرد جانبًا من ذاتيته ويدمجها في المجهود الجماعي الذي يقوم بالتفاهم والتواصل العقلي».[3]

ويمُكن أن نُلَخصَ خصائصَ أو مرتكزاتِ العقلِ الأداتي أو العقلانيَّة الأداتيّة في الآتي:

أ - الالتزامُ الشَّكلي بالإجراءاتِ على حسابِ الغاياتِ والأهداف.

ب - يَقتفي أثرَ نَموذجٍ عمليّ في تحقيق غاياتِه.

ج - السَّيطرةُ على الإنسانِ والعالَم.

د - النَّظرُ إلى الإنسانِ على أنَّه جزءٌ ماديٌّ من الطبيعةِ أي شيءٌ كميٌّ ثابت.

ه - الانتصارُ للمادَّةِ على حسابِ الرُّوح.

و – التَّحلُّل من القِيَم الأخلاقية والمعاني الإنسانيَّة.

وهــذه الخصائصُ هي المفردات الرَّئيســة للعقل الأداتي في الفلســفةِ الماديَّة الغربيَّة ، وهذه الخصائص لم تجتمعْ في هذه الفلسفةِ فقط، بل التقت بالعقيدةِ اليهوديَّة ذات العقلِ المتعصب والفِكــر الصُّهيــوني الذي لا يرى غيرَ ذاتِه. ومــن ثمَّ نجدُ هذا العقلَ الأداتي هو المســيطر على العقليَّةِ اليهوديَّةِ الصُّهيونية. والمُتتبِع لخصائص هذا العقل التي استخلصناها نجد ذلك واضحًا. فالاهتمام بالإجراء الشَّكليّ دون مراعاةِ التبعات والنتائج المُترتبة عليه خِصيصةٌ من الخصائص التي تجمع العقلَ اليهودي الصُّهيوني –كما العقل المادي الغربي- فكم من الممارسات الإجرائية

---

١ - حسام الدين فياض: ممارسات العقل الإنساني ما بين العقل الأداتي والنقدي والتواصلي (رؤية تحليلية – نقدية(، بحث منشور على موقع مؤمنون بلا حدود، على الرابط التالي:

<https://www.mominoun.com/articles/84-9199>

٢ - أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورغن هابرماس «الأخلاق والتواصل»، ص١٣٥.

3 - Habermas: The Theory of Communicative Action., p. 9.

التي تمارسها اليهودية والصُّهيونية في العالم لا تراعي إلا أهدافها الخبيئة، ولذا فلا غضاضة من استخدام وسائل الجنس والدعارة والمخدرات والقتل في سبيلِ تحقيقها دون مراعاةٍ لأيّ أبعادٍ أُخرى، دون النَّظرِ في حقيقةِ هذه الوسائل هل تراعي الأبعاد الإنسانية أم تتغول عليها؟! وهو الأمر ذاته الذي لا تَنفَّك عنه العقليَّة السياسيَّة الغربيَّة التي ترى في تحقيقِ أهدافِها بكل الوسائل المُمكنة سواء المشروعة أو غير المشروعة، وما أكثر الوسائل غير المشروعةِ التي تنتهجها تجاهَ الشَّرقِ الإسلاميّ! وما أكثر الشواهد التاريخيَّة والآنيَّة التي تَدلُّ على ذلك! بدليلِ ما نراه من تربصٍ بفلسطين أرضًا وشعبًا.

ومن ثمَّ تَغلُب على العقليَّة اليهوديَّة الصُّهيونيَّة جانبَ التطبيقِ العلميّ ذي البُعدِ الإجراميّ[1] القائم على العقل الأداتي، بعد أن ظلَّت عقودًا تَرسُم الخطط، هذا الجانب ملازمٌ للتَّدمير والقتلِ وسفكِ الدماء، فهذه العقليةُ لا تتورع في أن تطبقَ أهدافَها، ولو على آلاف القتلى والجرحي، بل ولو على الملايين، مادامت نظرتها نظرة مقيدة بهذا الجانب. وعلى الرغم من أنَّ هذا الجانبَ التطبيقيَّ الإجراميَّ الذي تَنزَع إليه هذه العقلية[2]، فإنَّ الحكوماتِ الغربيَّةَ والأمريكيَّةَ زكتها وأجَّجت نيرانها بمباركتها حينًا وبدفعها دفعًا إليها حينًا آخر، طلبًا لمصالح مشتركة في المِنطقة العربيَّةِ خاصة والعالم عامَّة. ولعلَّ هذا التعاون بين العقل الأداتي الغربيّ المادي من جانب والعقل اليهودي الصُّهيوني من جانبٍ آخر كانت له تطلعاته المشتركة في السَّيطرةِ على العالم والإنسانِ معًا، فالعقل الأداتي الغربي يقوم على رافدي: الصناعة والتكنولوجيا، فبهما يتحكمُ في مُقدرَات الشعوب سواء على الجانب الإغرائي (الترغيب) أو الجانب التحذيري (الترهيب)، وفي سبيل هذه السَّيطرةِ يتخذ من العقل اليهودي الصهيوني ومن رغبته في التدمير تكأة ووسيلة لتحقيق هذه السيطرة على الشَّرق الإسلاميّ، فضلاً عن العالم أجمع.

بيدَ أنَّه من المهم أن نُدركَ أنَّه مهما بالغ المبالغون في استخدام الصناعات والمُخترعَات الحديثة في أوروبا، والإعجاب والثناء على مكتشفيها ومخترعيها، فإنَّ هذا يجب ألَّا يصرف أنظارَنا عن أنَّ هذه الصناعاتِ والمُخترعاتِ ليست غايةً في حدّ ذاتِها، وإنَّما هي وسائل وأدوات

١ - أحمد عمار عبد الجليل: الأخلاق في القرآن والتوراة والتلمود، ص٩.

٢ - أحمد إبراهيم الديبو: المتفق والمختلف في القيم الأخلاقية بين اليهوديَّة والمسيحية والإسلام.. دراسة مقارنة، ص ١٥٩.

لغايات أخرى نحكم عليها بالخير والشر أو النفع والضر، ونحكم عليها بالنجاح أو الفشل بالنَّظر إلى الغاية التي وضعت لها وبالنظر في النتائج التي ترتبت عليها والدور الذي لعبته في حياة الناس والمجتمع وفي أخلاقهم وسياساتهم، ولكن ما هذه الغاية؟ يقول (الندوي) مجاوبًا: «أمَّا الغاية فعلى ما أرى هي التغلب على العقبات والصعوبات في سَير الحياة التي سببها الجهل والضعف، والانتفاع بقُوى الطبيعة المُودَعة في هذا الكون، وخيراتها وخزائنها المبثوثة فيها، واستخدامها لمقاصد صحيحة من غير علوٍ في الأرض ولا فساد»[1].

لكن لا يمكن الانتفاع بقُوى الطبيعة أو المخترعات الحديثة ما لم يكن هناك دينٌ نؤمنُ به، ويدعونا إلى توجيه هذا كلّه في الخير لا الشر، وهذا هو سبب ما تُعانيه الحضارةُ الغربيَّةُ الآن، إنَّها لمَّا انتصرت على الديانة الكَنسيَّة اتخذتها عدوًا، واتخذت كلَّ الأديان أعداءً، فمنعها ذلك من البُعد الرُّوحي الذي يمكن أن يزنَ لها أفعالَها بميزان حساس، ويقودها إلى منافع الإنسانيَّة بدلاً من قيادتها إلى مجاهل الظلام والشرور[2].

ولعلَّ هذا ناتجٌ عن النَّظر إلى الإنسان على أنَّه جزءٌ ماديٌّ من هذا العالم أو هذه الطبيعة، «يَنظر العقل الأداتي إلى الطبيعة والإنسان باعتبارهما مادة استعمالية يمكن توظيفها واستغلالها لخدمة أي هدف»[3]. ومن ثمَّ تعمل فيه الفلسفةُ الماديَّةُ الغربيَّةُ ما تشاء باعتبارها تنظر إليه على أنَّه مُكوِّن بلا روح، والحقيقة أنَّ هذه هي طبيعة العقل الأداتي الغربي، فهو عقلٌ ماديٌّ بامتياز يغفل بالكلية الجانب الروحاني في الإنسان، ويغفل الجوانب المعنويَّةَ فيه، ومن ثمَّ كان النظرُ إليه على أنَّه مجرد كَمّ ثابت هو النتيجة الطبيعيَّة لذلك. وهذا هو سبب الإشكاليَّة في علاقة الغرب بالعالم وعلاقة العقليَّة الصُّهيونية بالعالم، فنظرتهما للإنسان على أنَّه جزءٌ ماديٌّ من الطبيعة جعلت الطريق ممهدة لقتله وإزهاق روحه دون أدنى وازعٍ من ضميرٍ أو إنسانيَّة. ولو كانتا ترعيان الجوانب الروحيَّة والإنسانيَّة فيه ما طغت هذا الطُّغيان ولما تجبَّرت ذاك التجبر.

---

١ - أبو الحسن على الحسني الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص١٨٨.

٢ - محمود كيشانه: الإسلام والغرب عند الندوي، ص ٤٨.

٣ - حسام الدين فياض: ممارسات العقل الإنساني ما بين العقل الأداتي والنقدي والتواصلي (رؤية تحليلية – نقدية)، بحث منشور على موقع مؤمنون بلا حدود، على الرابط التالي:

<https://www.mominoun.com/articles/84-9199>

ثَانيًا- اللاَ أَخلاَقيَّة بَينَ الفَلسَفَة الغَربيَّة وَاليَهُوديَّة الصُّهيُونيَّة.

إنَّ العقَل الأداتي عقلٌ «أَنَويٌّ» تَغلبه الأَنَا والنرجسية، ومن ثَمَّ كان الهدفُ النهائيُّ من وُجوده هو «الحفاظ على بقاء الذَّات وهيمنتها وتفوقها، ومن هنا جاءت تسميته بالعقل الذَّاتي أيضًا.[1]" وفي سبيل هذا البقاء والتَّفوُّق وتلك الهيمنة راح يرتكب من اللاَّ أخلاقي الكثير، وهذا يُعد نتيجة طبيعة لتلك النظرة، وكذلك لنظرته للإنسان على أنَّه مجرد كَمٌّ ثابت كأي شيء كَميّ في هذا الكون. انظر في تعامل الغرب مع القارَّة الأفريقيَّة مثلاً، فهو يستغل خيراتِ شعوبها واستعمالهم كعبيدٍ وهم أصحابُ الثَّروة الحقيقيون وفق نظريَّة الهيمنة والتَّفوق، بل انظر إلى العقل الأداتي الأمريكيّ الذي يُلقي القمحَ الفائضَ في المحيط ولا يدفع به إلى الدول الفقيرة التي تموت جوعًا، حتى لا يقل سعره.

إنَّ هذا العقلَ وما نتج عنه من فَوقيَّة مقيتة أورث لا أخلاقية لا حدودَ لها، لا تحترم إنسانيَّةَ الإنسان، ولا تضع لنفسها معيارًا أخلاقيًّا تتعامل مع العالم من خلاله، إلاَّ معيار المنفعة والبرجماتيَّة اللَّعينة. وهذا ما تكشف عنه تعاملات الغرب المتوحشة تجاه القضيَّة الفلسطينيَّة على سبيل المثال لا الحصر، فكم مرة أُستخدم حقُّ الفيتو لمناصرة العدوان اليهودي الصُّهيوني الجائر ضد أصحاب الأرض؟! كم مرة أُستخدم حقُّ الفيتو لمنع توقيع أي إدانة على المُغتصب الغاشم رغم ما يرتكبه من قتال وحصار وتجويع؟! إنَّ الأمرَ أمر غياب الإنسانية وتدني أخلاقي لا نجد له مثيلاً ربما عبر التاريخ الإنساني. من ثمَّ تعاضدت قُوى الشر: اليهوديَّة الصُّهيونيَّة والغرب المادي في النيل من القِيَم والأخلاق الإنسانيَّة، فذُبحتا على مائدة العقل الأداتي المادي. ومن ثمَّ فإنَّ العقلَ الأداتي المادي الذي سمح للشذوذ بأن يرتعَ في الأرض دون حسيب أو رقيب، بل لقد سنَّ من القوانين ما شَرعنت له وجوده، لا مانع لديه من أن يُغيّبَ ضميرَه وإنسانيتَه والجانبَ الروحي فيه، والذي بدونه يفقدُ الإنسانُ الحقيقيُّ كينونتَه. ذلك أنَّ الذي فَطر المادةَ والروحَ قد فرض على المادةِ أن تخضعَ للروح[2]، ومن ثمَّ فإنَّنا ننقد الحضارةَ الغربيَّةَ لقيامِها على

---

١ - انظر حسام الدين فياض: ممارسات العقل الإنساني ما بين العقل الأداتي والنقدي والتواصلي (رؤية تحليلية – نقدية(، بحث منشور على موقع مؤمنون بلا حدود، على الرابط التالي:

<https://www.mominoun.com/articles/84-9199>.

٢ -أبو الحسن الندوي: الأمة الإسلامية وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل، ص.ص ٨ -١٠.

الظُّلــم والعُدوان وإنكار الروح وعبادة المادة[1] ، فالعقلُ الغربيُّ في ماديَّته عقلٌ شــيطانيٌّ، عقلٌ مدمّرٌ، عقلٌ ماديٌّ يشكو فراغ القلب المؤمن العقل الواعي بالإيمان، فراغ الإخلاص، فراغ التَّألم للبشرية[2]. بما يعني أنَّه عقلٌ ماديٌّ أداتي لا يرى إلاَّ ذاته.

إنَّ فلسفةَ ما بعد الحداثة الابن البكر للفلسفة الماديَّة الغربيَّة، تلك الفلسفةُ التي جعلت النسبيَّةَ هي السِّمة المُطلقة في مجال الأخلاق -فضلاً عن مجالي: المعرفة والجمال- فقلبت الحقَّ باطلاً والباطــلَ حقًا، وجعلت الأخلاقَ نســبيَّةً ليس لها معيارٌ عام حاكم، فصــارت تائهةً ضالةً تبحث عن نفســها وسط ركام من السفسطة الجديدة التي مارستها هذه الفلسفة في إطار فكري زينَهُ لها العقل الأداتي ربيبها وسيدها في آن. هذا يعني أنَّ «العقل الأداتي يسقط تمامًا في النسبيَّة المعرفيَّة والأخلاقيَّة والجماليَّة إذ تُصبح كل الأمور متساوية، ومن ثمَّ تظهر حالةٌ من 'اللا معيارية الكاملة'، فيمكن القول بأنَّ النَّموذجَ الكامنَ والمهيمنَ على الإنســان الذي يصبح مع تســاوي الأمور هو: 'الطبيعة - المادة - السلعة - الشيء في ذاته - علاقات التبادل المجردة'".[3]

وهذا يفسر لنا طُغيانَ المادةِ في الحضارة الغربيَّة، وهو أمرٌ لا ينكره مُنكِر، ذلك أنَّ الفلسفات التي بنــى عليها هذا الغــرب حضارته هي فلســفات ماديَّةٌ صرفــة، تقوم على مبدأي: الحِســيَّة (المحســوس) والمنفعة، حتى كادوا أن يقولوا لا وجود إلا للمادة ، ولا نهم إلا في النَّفعية ، وقد تســلط عليها سلطان الجشع، وشيطانُ الحرص. وربما كان ذلك أيضًا نتيجة أنَّ تلك الفلسفات تعمل للدُّنيا، ولا تعمل للآخرة، لكونها مادية صرفة، ومن ثمَّ فإنَّ البابَ مفتوحٌ فيها على مصراعيه لجلب المنافع الدنيوية، مغلق إغلاقًا شديدًا أمام جلب منافع أخروية.

والمجتمع الذي تَسُوده الماديَّة تختل فيه المعايير، فلا الصَّواب فيه صواب، ولا الخطأ خطأ، "وهــذا المجتمع لا تزال مقاييســه للــشَّرف والظرافة تتغير، ومعاييره للإنســانية تتبدل وتتحور، ومطالبه تتنــوع وتتكثر، حتى يضيق الإنســانُ بها ذرعًا، ويلجأ إلى طرق غــير شريفة؛ لتحصيل

١ - أبو الحسن الندوي: إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ص ٩.

٢ - أبو الحسن الندوي: الإنسانية تنتظركم أيها العرب ، ص٥ .

٣ - حسام الدين فياض: ممارسات العقل الإنساني ما بين العقل الأداتي والنقدي والتواصلي (رؤية تحليلية – نقدية(، بحث منشور على موقع مؤمنون بلا حدود، على الرابط التالي:

https://www.mominoun.com/articles/84-9199.

المال وإلى كدح وكد في الحياة، وهناك أمور تتوالى ولا تنتهي ومتاعب تتسلسل ولا تنتهي"[1].

بمـا يعنـي أنَّ طابعَ الحياةِ الشَّـكلي لايزال يتغلَّب عـلى الطابع الجوهـريّ الذي يجبُ على الحضارةِ الغربيَّة وعقلانيتهـا الأداتيَّة الالتزام به ، وكلَّما زاد الأوَّل على الثَّاني زاد بُعد النَّاس عن الرَّوحانيَّةِ والأخلاق ، واقتربوا من الماديَّةِ بكلّ قوة وفي وقت أسرع؛ كما أنَّ هذا يعني أنَّ الطابعَ الغالبَ في هذه الحضارةِ ذي العقلانيَّةِ الأداتيَّةِ هو الطابعُ الآليُّ الصناعيُّ، هذا الطابع من شـأنه أن يقودَ إلى شـيوع الماديَّة، ما لم يكن هناك عقيدة تمتلك القلوبَ، ودين يقودها وإيمان راسخ بالقِيَم والمُثُل الإنسانيَّة التي لا يمكن الاختلاف عليها.

نعم، إنَّ لهذا النظامِ الآليّ مردوده على الجانب الاقتصادي، بيدَ أنَّ سـلبياته على المُستويات الأخرى كبيرة، فعلى المسـتوى الاجتماعي مثلاً يزداد الوضعُ الغربيُّ بؤسًا وشقاءً، «فالمنبهرون بالحيـاة الغربيَّةِ عليهم أن ينظروا للكوب كله، لا إلى الجانـب المملوء فقط، حتى يمكن تقييم الموقف بشكلٍ كليّ ومتوازن»[2]. وعلى المستوى الأخلاقي تتدني الأخلاقيَّاتُ والقِيمُ الإنسانيَّةُ لتحتلَ أدنى مستوياتها.

ولكـن بالنَّظـر إلى أنَّ الطابعَ الآليَّ الإنتاجـيَّ الصناعيَّ نجـده يرتبط ارتباطًا وثيقًـا بالناحيَّة الاقتصاديـة، فالاقتصاد هو العامـلُ المحركُ لكل مظاهر الحياةِ الغربيَّـة، بل واقتصاد كل دولة، وبما أنَّ الأمرَ مرتبطٌ بالاقتصاد، فلابدَّ كذلك أن تكون مرتبطةً بالمال؛ إذ إنَّ بريق المال هو الأقوى في هـذا الزمان، فهو لغة «الجيب» التي لا تُضاهيهـا لغة أخرى، وليس لها في أي مجتمع مادي منافـسٌ أو منازعٌ. وهذا ما يفسر لنا لماذا كانت العقلانيَّـةُ الأداتيَّةُ الغربيَّةُ تتجه دومًا إلى مُحاولة السَّيطرةِ على الشَّرق بكل الوسائل غير المشروعة.

إنَّ الصفةَ التي تمُثل واحدةً من الصفات الرئيسة في العقلانيَّةِ الأداتيَّةِ والحضارة الغربيَّة الماديَّة عامة صفة التدهور الأخلاقي على المسـتوى الفردي والمسـتوى الجماعي، وهذه الصفة يُعول عليها ناقدو الحضارة الغربية وما قام عليه عقلها الأداتي ونواتجهما التي لا تتدخر جهدًا في النيل

---

١ - أبي الحسن على الحسني الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ٢١٣ .

٢ - سليم نصر الرقعي: حياة الغربيين هل هي وردية وجنة النعيم ؟ الحوار المتمدن ، ٩ إبريل ، ٢٠١٣م. على الرابط التالي:

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=353580>

من كل ما هو أخلاقي في الإنسان ليكون متوائمًا مع هذه الحضارة العرجاء التي تسير بقدم واحدة وهـي المادية، وتترك الثانية وهي الروحانية والأخلاقيَّات مريضةً في حاجةٍ إلى جبر انكسـارها. ولعـلَّ بعضَ الباحثين يُرجعون ذلك إلى ميزة مهمة تتميز بها البيئةُ الإسـلاميَّةُ عن البيئة الغربيَّة، حيث إنَّ أهمَّ ما يميز الأخلاقَ في الفكر الإسلاميّ عن الأخلاق في الفكر الغربيّ، أنَّ الأولى تأخذ في الغالب الأعم من مبادئها بمبدأ الحلال والحرام كمعيارٍ للحكم على الأفعال، بينما يأخذون في الفكـر الغربي بمبدأ الخطأ والصواب[1]. فالمبدأ الأوَّل ينظرُ للآخرة، بمعنى النظر إلى تبعاته الأخروية، وما يترتب عليه من حسـاب وعقاب، جنة ونار، في حين ينظر المبدأُ الثَّاني إلى الدنيا بكُليته، وما يترتب على الفعل من نعيم دُنيوي فقط.

أمَّا فيما يتعلق بالعقل اليهودي الصُّهيوني فهو عقلٌ أداتي من الدرجة الأولى ليس لكونه يبحث عن الأهداف غير المشروعة، بكل الوسائل غير المشروعة التي لا تراعي إنسانيَّةً ولا ضميرًا، بل لأنَّه أيضًا يمارس أسوأَ أنواع الفعال وأدناها، بل إنَّه لا يُقيم للأخلاق وزنًا، ولا يجعل لها مساحةً من تفكيره.

وقـد حدَّدَ القرآنُ الكريمُ بدقة صفـاتَ هذا العقل الأخلاقيَّة التـي تنطوي على خداع وكذب وتضليل ونهم لسفك الدماء[2]، وهي كلها صفات يُقيم عليها العقل الأداتي الغربي أركانه، مثلما يُقيم عليها العقل اليهوديُّ أركانَه أيضًا.

يقول الله -تعالى-: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْـرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ**﴾ [البقرة: ٨٣].

وقـال -تعالى-: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِـمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُـوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّـاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * لَكِنِ الرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ [النساء: ١٦٠ - ١٦٢].

قال -تعالى-: ﴿**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [المائدة: ٦٤].

---

١ - خالد حربي: قيم الأخلاق بين الفكر الإسلامي والغربي، نظرة تحليلية، ص١٣.

٢ - حسن ظاظا: الشخصية «الإسرائيلية»، ص٣٥.

قال -تعالى-:﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء: ١٦١].

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

إلى غير ذلك من الآيات التي فصَّل الله -تعالى- فيها أخلاقَهم الظاهرة والخفية، ومقاصدهم في الأعمال والأقوال، ومن ثمَّ يستطيع المتأملُ في القرآن أن يدركَ حقيقةَ اليهودِ، ويفهمَ عقليتَهم وما تنطوي عليه نفوسهم من فسادٍ وانحرافٍ عن الخُلُق القويم والصراطِ المستقيم[١]. بل نجدُ في نصوصهم من التوراة ما يؤكد على أنَّ العقلَ الأداتي المسيطر على نفسيتهم متجذرٌ فيهم من القرون الأولى، يقول: "فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلا تَعْفُ عَنْهُمْ، بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا" [سفر صموئيل الأول ـــ ٣ : ١٥]، وحرّموا هنا بمعنى أبيدوا. ويبلغ العقلُ الأداتي ذروته في تَغييبه للأخلاق في أقوال من نحو ما قال الرابي مناحم: "أيها اليهود، إنكم من بني البشر؛ لأنَّ أرواحكم مصدرها روح الله. وأمَّا باقي الأمم فليست كذلك؛ لأنَّ أرواحَهم مصدرها الروح النَّجسة»[٢]. وفيما جاء في التلمود من أن: "قريب اليهودي هو اليهودي فقط، باقي النَّاس حيوانات في صورةِ إنسان هم حمير وكلاب وخنازير، يلزم بغضهم سرًّا"[٣]. فهو يقارن هنا بين درجة الإنسان والحيوان ودرجة اليهودي وغير اليهودي.

هذا يعني أنَّ العُنف والعُدوان صارا في تكوين الشَّخصيَّة اليهوديَّة والصُّهيونيَّة[٤]. والتلمود يزخر بالكثير من النُّصوص في هذا الصدد[٥]، فهو وإن كان تفسير الحاخامات للتوراة، فإنَّهم يعدونه كتابًا موحى به[٦]. بما يعني أنَّ هذه العقليَّةَ الأداتيَّةَ في تكوينهم العَقَدي والمعرفي والأخلاقي على حد سواء.

---

١ - سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ١٥٣.
٢ - روهلنج شارل لوران: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ج١، ص٤٧.
٣ - روهلنج شارل لوران: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ج١، ص٤٦.
٤ - هند دخيل الله وصل القثامي: أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، ص٣٦٧.
٥ - فكري جواد: التلمود وأثره في الفكر اليهودي، ص٢٢.
٦ - رقية العلواني: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، ص٥١.

ثَالثًا- قَضيَّةُ التَّفَوُّق العرقيّ

تَبقَـى قَضيَّةُ تَفَوق بعضَ الأَجناسِ البشريَّةِ على بعضها من أشـدّ القضايَـا التي تورثُ غروراً وكبرياءً لا حدودَ لهما، بل هي في التَّحليل الأخير دليلاً على العقل الأداتي المُتعصب، وقد تشبثَ الغربُ بهذه القضيَّةِ عمليًّا منذ قرون، منذ أن أتت الحملاتُ الصليبيَّةُ على الشَّرقِ الإسلاميّ، وهي تحمل في عقليَّتها هذه الفكرة، فالنَّظرةُ الدُّونيَّةُ إلى الشرق، والنظرة المتعاظمَة إلى الأنا هي التي جرَّت عداءً بين الفريقين. وقد أعاد (رينان) صياغة هذه القضية نظريًّا في محاضرته الشهيرة، والتي زعم فيها تفوق الجنس الآري على الجنس السـامي، وأنَّ المسـلمين ليس لهم فكرٌ ولا فلسفةٌ، وأنَّهم مجرد مقلدين لإنتاج الفلسـفة اليونانيَّة[1]. وبالنَّظر إلى تلـك النظرة التي جاء بها (رينان) تتبـين لنا منذ الوهلة الأولى تلك النظرة الاسـتعلائية التي ينظر بهـا الغرب إلى الآخر المختلف معـه في العِـرق أو الجِنس أو العقيدة، وهي النظرة التي تُمثل قمـةَ العُنصريَّةِ الغربيَّة، ونعتقدُ أنَّ هذه النظرةَ كان لها مردودها السـيئ على العَلاقة بين الـشَّرقِ والغربِ، إذ راح الثَّاني ينظر للأوَّل وكأنَّه قاصرٌ عقليًا وفي حاجة إلى وصاية عليه، فنصب من نفسـه هذا الوصي، وأخذ يتحكم في مقدراته بالاستعمار حينًا والغزوِ الفكري حينًا وانتهاءً إلى ما يسمَّى الإمبرياليَّة العالميَّة الآن[2].

الإشكالية الكبرى أنَّ العقلَ الأداتيَّ الماديَّ الغربيَّ يتشكل من هذين الموقفين: موقفٌ عمليٌّ تطبيقـيٌّ يحاول من خلاله أن يقضي على الأخضر واليابسِ رجاءَ مصلحته الشـخصيَّة، وموقف نظري يؤمن به ويسـير بمقتضاه، ويبني عليه موقفه العملي. وهذا مـا يفسر نظرة التَّفَوق العِرقي التي يحمل الغربُ وأمريكا لواءها، ويحاولان أن يفرضاها على العالم فرضًا.

ولا نبالغ ولا نغاير الحقيقةَ إذا قلنا إنَّ أقدمَ مقولةٍ مزعومةٍ للتَّفوُّق العِرقي منسـوبة إلى العقليَّة اليهوديَّـة وهي مقولة «شـعب الله المختار»، فهـي مقولة تحمل في مضمونهـا كلَّ أدران الأنا والنرجسيَّة والفوقيَّة على سائر الشعوب، وهي تفسير لما حكاه القرآن عن غطرستهم في مقولتهم «نحـن أبناء الله وأحباؤه»، هذه العقيدة الأنوية هي السـبب الرئيس فيما يرتكبه أتباعها «اليهود» من جرائم بشرية، وانتهاكات لحقوق الإنسـان ضدَّ الشَّـعبَ الفلسطيني الأعزل خاصةً. فمقولة «شعب الله المختار» في ذهنية اليهودي إلى قيامِ السَّاعة، في ذِهنيته وهو يَقتل وهو يَسجن وهو

١ - محمود كيشانه: إشكالية الإسلام والعلم عند رينان، دراسة نقدية، ص٢٩٧.
٢ - محمود كيشانه: إشكالية الإسلام والعلم عند رينان.. دراسة نقدية، ص٢٩٨.

ينتهك آدميَّةَ الإنسان. فهي ذهنيَّةٌ -كما يؤكد بعض الدارسين- عنصرية[١] وذات روح عدوانية[٢].

والنصوص العَقَديَّة التي يؤمنون بها تشير إلى هذه الفوقية، من ذلك مثلاً لا حصرًا:

نصٌّ في التلمود يقول: «غير جائز أن تُشفقوا على ذي جنة». [التلمود: سنهدرين ١]

وقال الحاخام (إباربانيل): «ليس من العدل أن يُشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم»[٣].

ونصٌّ آخر في التلمود أيضًا يقول: «اقتل الصَّالح من غير 'الإسرائيليين'، ومحرَّم على اليهودي أن ينجّي أحدًا من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها؛ لأنَّه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين»[٤].

ومن ثمَّ فإنَّ هذه أدلةٌ من التَّوراة وكتب اليهود تشي بالأنا الفوقي ودعوى التَّفوُّق العِرقي الذي يُحدد تعاملهم الوحشي مع الغير.

رَابعًا- العَقْلُ الأَدَاتيُّ والإرْهَابُ الصُّهيُونيُّ:

ممَا لا شك فيه أنَّ الاحتلالَ الغربيَّ الإرهابيَّ -المسمى خطأً الاستعمار؛ لأنَّه ما أراد تعميرًا ولا عمرانًا- قام على مبدأ من العَقلانيَّة الأداتيَّة التي تبحثُ عن تحقيق أغراضها الخبيثة بالوسائل الوضيعة، دون مراعاة لخُلُق أو قِيَم أو مبادئ إنسانيَّة. وإذا كانت العقلانيَّةُ الأداتيَّةُ قد سيطرت على عقليَّة المحتلّ الغربيّ الذي كان يُمارس أبشعَ صور الإرهاب فإنَّ هناك جناحًا آخر ما كان لهذه العقليَّة أن تجولَ بغيره، وهي النَّفعية الماديَّة الغربيَّة. ومن ثم جالت بجناحيها متخطيةً كل القواعد والمبادئ والأعراف الإنسانيَّة، بل لقد تغولت على كرامة الإنسان وحريَّته. ولم يقف الإرهابُ الغربيُّ عند هذا الحد، بل إنَّه تزيى بزيٍّ جديدٍ تُصنع فيه الحركات التكفيرية والإرهابية على عينه، ثم يطلقها -حسب بعض الدارسين- في بلاد الشرقِ الإسلاميّ ليَسِمها بالإرهاب ويُنفذ مخططاته فيها[٥].

---

١ - أحمد عبد الله الزغيبي: العنصرية اليهوديَّة وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها،ج١، ص٢٤.

٢ - رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهوديَّة «الإسرائيلية» والروح العدوانية، ص١٢٢.

٣ - روهلنج شارل لوران: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ج١، ص٤٨.

٤ - روهلنج شارل لوران: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ج١، ص٥٨.

٥ - محمد مرتضى: صناعة التوحش.. التكفير والغرب، ص٣.

إنَّ قضيَّةَ الغاية التي تُبرر الوسيلة التي ابتدعها (ميكافيللي)[1] كما لو كانت الشعار الذي طبقته العقلانيَّةُ الأداتيَّةُ في خِضم إرهابها على الشرق، «فقد شكَّلت هذه المقولةُ الذهنيَّةُ السياسيَّةُ خلال القرون الأخيرة جميعَ أنحاءِ العالَم الغربي وتحوَّلت مع مرورِ الوقت إلى عقيدةٍ فاسدةٍ يتم توظيفها مـن أجل الوصـول إلى أهداف خاصَّة مهـما كان ثمن هذا الوصول حتى لو كان على حسـاب الآخرين من خلال اسـتعمارهم ونهب خيراتهم وتدميرهم وتكريس مبدأ تبعيتهم للاستعمار في كافَّة المجالات».[2]

ومن ثمَّ فقد حشـد المحتلُّ الغربيُّ جيوشَـه ومدافعَه وأدواته الحربيَّة موهـمًا بأنَّه ما جاء إلَّا للتَّعمـير والبناءِ والرخاءِ، في الوقـت الذي ما جاء فيه إلَّا بالتَّدميرِ والخرابِ والفقرِ، مسـتخدمًا أدوات إرهابية كالقتلِ والتنكيلِ والجاسوسـيَّةِ وإثارة الفتن والنَّعرات القوميَّة والقبليَّة، ومحاولة ضرب ثوابت الدين وتهميش دور اللُّغة باعتبارها المكوّن الثَّاني للهُويَّة، وهي أدوات طبَّقَها تحت مظلة العقلانيَّة الأداتيَّة والنفعيَّة الماديَّة.

إنَّ العقلَ الأداتيَّ الغربيَّ يصير شـيئًا فشـيئًا قابلًا للأمر الواقع حتى يسـير معه أسلوب حياة، بل يتعدَّى ذلك إلى إجباره غـيره على القبول بالأمر الواقع أيضًا، فيمارس القَهرَ ويُجبر المقهورَ على الانصياع للأمر الواقع، يسـقي الشعوب كؤوسَ القمعِ، ويطلبُ من الشَّاربين خلافًا للواقع إظهار علامات التلذذ، يدفعُ الإنسانَ في هذه الشعوب دفعًا إلى أن يعيشَ مغتربًا في وطنه. أليس هذا ما تفعله السياسةُ الأمريكيَّةُ بشعوبِ العالمِ وحكوماتها؟! إنَّ السياسةَ الأمريكيَّةَ بإلحاح من العقلِ الأداتي الكامن فيها يجعلُها تتجه إلى تحقيق أهدافها الاسـتعماريَّة في البلدان بوسـائلها المختلفة دون مراعاة لمعايير إنسـانيَّة أو ضوابط أخلاقيَّة، أو التـزام بالمواثيق الدولية. ومن ثمَّ كانت هذه السياسـةُ الجيلَ الأحدثَ والمتطورَ لأدران العقلِ الأداتي المادي الغربي. ثُمَّ خلفتها السياسة "الإسرائيلية" تحت ظلال يهوديَّة صُهيونيَّة في التنكيل بالفلسطينيين بمباركة من السياسة الأمريكيَّةِ المشـبعة حتى الثمالة بالعقلِ الأداتي، فالوسـائلُ العدوانيَّةُ واحـدةٌ والغاياتُ النفعيَّةُ

١ - ميكافيللي: الأمير، ص١١.

٢ - حسام الدين فياض: ممارسات العقل الإنساني ما بين العقل الأداتي والنقدي والتواصلي (رؤية تحليلية – نقدية)، بحث منشور على موقع مؤمنون بلا حدود، على الرابط التالي:

https://www.mominoun.com/articles/84-9199.

البرجماتيَّةُ واحدةٌ والبعد الإنساني عندهم يغوص في نومٍ عميق.

فالتسلطُ وإخضاعُ الشعوبِ للأمرِ الواقع كان ولا زال مظهرًا من مظاهر السلطة السياسيَّةِ التي تهيـمُ في بحرِ العقلِ الأداتي، فالغربُ وأمريكا يرسـخان دعائمَ سـلطتهما على العالم، والإقرار بمبـدأِ القُوة، فيتحول العـالمُ إلى غابةٍ -وهكذا تحول بالفعل- يأكلُ فيهـا القويُّ الضعيفَ، ولا يقـف الأمرُ عند هذا الحد، بل يمُارسُ الإرهابَ بصورةٍ أخـرى، وهي التلويح بفرض العقوبات الاقتصاديَّةِ أو برسم خطط الانقلابات ومباركتها ضد الحكومات المناهضة، أو الحروب العلنيَّة تحت مظلة دَعاوَى كاذبة.

إنَّ العقيدةَ الصُّهيونيةَ قائمةٌ على هذا النهج من التسلُّطِ ومحاولة فرض الأمر الواقع على العرب والمسلمين، خاصةً في الأراضي المحتلة، ومن ثمَّ تعمد إلى تثبيت أركان سُلطتها الغاشمة، ولو أدَّى بهـا الأمرُ إلى قتلِ كلّ دعـوةٍ للحريَّةِ أو محاولة الدفاع عن الأرض، ولِكم كانت الشـواهد والحوادث التاريخيَّةُ دليلاً على بشـاعةِ ما ترتكبه هذه السلطة، وآخرها ما تلي طوفان السابع من أكتوبر، فالعقليَّة اليهوديَّة عقليَّةٌ أداتيَّةٌ حتى النُّخاع، لا تهتم إلا بالوسـائل التي تحقق لها أهدافها ولو ترتب عليها ما يُنافي المبادئَ الإنسانيَّةَ، فقضيَّةُ الإنسانيَّةِ ومبادئها لا وجودَ لها في هذه العقليَّةِ المتوحشـةِ. حيث إنَّ "طبيعة العنصريـة 'الإسرائيلية' لا يمكن أن تتبلـورَ في نفس اليهوديّ إلَّا مسبوكةً بنيران الحروب"[1].

إنَّ العقـلَ الأداتيَّ الغربيَّ إذا كان باحثًا عن السـيطرةِ على الإنسـانِ والطبيعـةِ من حوله، فإنَّ العقلَ الأداتيَّ الصُّهيونيَّ اليهوديَّ يظلُّ عقلاً باحثًا عن السيطرةِ على الإنسانِ والأرضِ من حولِه، فالإنسـانُ وفق هذا العقلِ الصهيونيّ هو الإنسـانُ العربيُّ المسلمُ، والأرضُ هي الأرض العربية وخاصةً فلسطين، وهو في سـبيل ذلك يقتل الحريات ويُمارس ألوانَ التنكيلِ البربريَّةِ. والدليل على ذلك الإبادة الجماعية التي تمُارَس ضدَّ الشعبِ الفلسطيني من عام ١٩٤٨م إلى الآن.

خَامسًا- المَصَالِحُ المُتبَادَلَةُ بَينَ الصُّهيُونيَّةِ وَالحَضَارَةِ الغَربيَّة

لا شَكَّ في أنَّ هناك مصالحَ مَتبادَلةً بين اليهودِ والصُّهيونيَّةِ من جانب والغرب من جانب آخر كلها تسـير في فَلَك العقلِ الأداتي في غيابٍ من الإنسانيَّةِ وازدواجيَّةِ المعايير الأخلاقيَّةِ، فاليهود

١ - حسن ظاظا والسيد محمد عاشور: شريعة الحرب عند اليهود، ص ١٦.

يريدون تحقيقَ السيطرة على الأرض من النّيل إلى الفُرات، والغرب يريدُ السيطرةَ على العالم -وهو هدف الصُّهيونيَّةِ أيضًا- ومن ثمَّ فإنَّ هناك أحلامًا مشتركةً تلاقتا للإجهاز على الشَّرقِ الإسلاميّ خاصةً.

ومن ثمَّ شرعنَ الغربُ الوجودَ اليهوديَّ في فلسطين، بعد أن مهدَ له في وعدِ بلفور ١٩١٧م، وذلك كنوعٍ من أنواعِ الصراع التاريخي الذي بدأه الغربُ بالحروبِ المتواصلة على مدارِ التَّاريخ، ثمَّ بعد سقوطِ الشيوعيةِ ازداد خوفًا من الإسلامِ الذي رآه الغربُ العدوَّ الرئيسَ له. ومن ثمَّ فقد رأى في الوجودِ اليهودي في فلسطين دعمًا له في مواجهةِ هذا الخطر الذي يستشعره. فـ«إسرائيل» إذن تمُثل له حلقةَ الدفاع الأولى التي تكفي الغربَ مؤنته.

وهذا يفسرُ لنا لماذا يصمت الغرب صمتًا رهيبًا أمامَ تلك الانتهاكات التي يرتكبها الكيان الغاصب ليل نهار، دون أن يحرك ساسته ساكنًا؟ ويفسر لنا في الوقتِ ذاته لماذا يقف الغربُ جُله -إن لم يكن كله- وأمريكا أمام صدورِ أي إدانةٍ من المجتمعِ الدَّولي تجاه هذه الانتهاكات؟! إنَّ الغربَ وأمريكا اللَّذين يرفعان شعاراتِ حقوقِ الإنسان الجوفاء، يصمتان أمامَ كلّ هذا لتلك العقلانيَّةِ الأداتيَّةِ التي توجهه، وتلزمه وفقًا لمصالحه ألَّا يُدين أو يَشجب أو حتى يُظهر مظاهرَ التعاطف للجانبِ الآخر المُعتدَى عليه.

ومن ثمَّ كان هناك تخادُمًا متبادَلاً عنوانه: أنا أكفيك مُؤنة الخطر الآتي من الشرق الإسلامي مقابل أن تمُدَّني بالمال والسلاح، وأن تجعلني القُوةَ العسكريَّةَ الأقوى في المنطقة، وأن تغضَّ الطَرف عما أرتكبه من جرائم، فما عليك إلَّا الإذعان والخضوع، فأنا أُحققُ لك أهدافَك ومَراميك دون أدنى جهد منك. وهذه هي ملخص الاتفاقية ربمَّا غير الرسمية، لكنَّها منقوشةٌ في الأذهان والعقول.

النَّتَائِجُ:

لا شكَّ في أنَّ هناك مجموعةً من النتائج التي تمَخَّض عنها هذا الموضوع، ويمُكن إجمالها على النحو الآتي:

أَوَّلًا- أنَّ العقلَ الأداتيَّ سِمةٌ مشتركةٌ بين اليهوديَّةِ والصُّهيونيَّةِ من جانب، والفلسفةِ الغربيَّةِ

التـي قامت عليها الحضارةُ الغربيَّـةُ من جانبٍ آخر. وبناءً عليه، نجـد أنَّ المواقفَ الصَّادرة من هذين الجانبين المشـبعين بهـذا العقلِ لا تتورع عـن اتِّخاذ كل الوسـائل مادامت تضمن لهما تحقيق الغايات والأهداف التي يسـعيان إليهـا، ولو كانت مخالفةً للأعـراف الدوليَّةِ والقوانين العالميَّة والمبادئ الإنسـانيَّةِ؛ إذ إنَّ هذا العقل يعمل وفق مبدأٍ أَلزَم به نفسـه ضمنيًّا مؤداه: الغاية تبرر الوسيلة.

ثَانيًـا- أنَّ العقلَ الأداتيَّ ومبادئَ الأخلاق الإنسـانيَّةِ ضدان لا يجتمعـان، ومن ثمَّ كان وجودُ العقلانيَّةِ الأداتيَّة دليلاً على اللاَّ أخلاقية، لأنَّ العقلَ الأداتيَّ يرتكزُ على المنفعةِ ولا شيءَ غيرها، وهو بذلك يتناقضُ مع مبادئ الأخلاق والفضيلة والمعاني الإنسانيَّةِ؛ لأنَّه في سبيل تحقيق منفعته هذه سـوف يطأها بكلتا قدميه، فيتحول العالمُ إلى غابةٍ يأكل فيهـا القويُّ الضعيفَ، وعلى قدر القُوّة تتحصل الفائدةُ؛ وهذا قانون الغاب.

ثَالثًـا- أنَّ عقيدةَ العقليَّةِ اليهوديَّةِ والفلسـفة الماديَّة الغربيَّة اجتمعتـا على اللاَّ أخلاقية، فوفق إلحاحات العقلانية الأداتية التي يمارسانها ارتكبا أبشعَ الجرائم في حقّ الإنسانيَّة ومازالا، فاليهود وفق عقليَّتهم العدوانية يستبيحون كلَّ شيء في معاملتهم للمسلمين في فلسطين، فالقتل والتنكيل والهدم وعدم احترام حقوق الآخر بالكلية هي صور من الصور اللا أخلاقية التي يباركها الغربُ وحامل اللواء أمريكا، إذ لا تنديدَ ولا لوم ولا قوانين دولية تُطبق، بل يُمنع تطبيقها ويُمنع الإقرار بالموافقَة عليها خدمةً لهذا الكيان الغاصب.

رَابعًا- قَضيَّةُ التَّفوق العرقي هي أُكذوبة حملَ لواءها الغربُ واليهودُ، فالغرب عدَّ نفسَه العقليَّةَ التي تفوقُ غيرَها من العقليات وأنَّ هذا التَّفوق بسـبب الأعراق، فصنَّفوا العالمَ فريقين: الجنس الآري والجنس السـامي، وجعلوا للأوَّل الأفضليَّة المطلقة على الثَّـاني، وقد حمل لواءَ الدفاعِ عن هذه القضيَّة الفيلسـوف (رينان)، الذي نزع عن المسـلمين كلَّ فِكر وثقافة وتأثير في العالم فلسـفيًّا وعلميًّا، بدعوى أنَّهم عالةٌ على الجنس الآري، وأنَّ دورَهـم لم يتعدَّ التقليدَ والمحاكاةَ للفكر اليوناني، وهي قضيَّةٌ خاطئةٌ بالكليَّة، في حين جاء اليهودُ بمقولتهم المكذوبة «شعب الله المختار»، لتكشـفَ عن اسـتعلائهم وعقليتهم الفوقيَّةِ التي تـرى أنَّ النَّاسَ من جنس، وهم من جنس آخر أعلى على كافَّة الأصعدة، وما ذلك بحقيقة. واستنادًا إلى هذه العقيدة المضلّلَة ارتكب الغربُ واليهودُ ما ارتكبوا من أفعال لا يرتضيها عقل ولا دين.

خَامسًا- أنَّ الإرهابَ الصُّهيونيُّ هو نتيجةٌ منطقيَّةٌ للفَوقيَّة اليهوديَّة المزعومة وللعقلانيَّة الأداتيَّة التي يغوص فيها العقلُ الصهيونيُّ حتى الثمالة، ومن ثمَّ فلا غرابةَ فيما يرتكبه من مجازر إنسانية ما دامت هذه هي عقيدته. خاصةً أنَّها تتوافقُ مع توجُّه الغرب في تفوقه العِرقي المزعوم، ومن ثمَّ نفهم أنَّ الإرهابَ الصُّهيونيَّ العالميَّ، والإرهابَ اليهوديَّ في دولة فلسطين لن ينتهيا ما دامت الركائزُ التي يرتكزان عليها قائمةً.

سَادسًا- تبدو قضيَّةُ المصالح المتبادَلة بين الصهيونيَّة والغربِ إحدى القضايا التي تكشفُ عن العقلانية الأداتيَّة التي تتحكم في الطرفين. فاليهود لهم أطماعهم من النيل إلى الفرات، ويحققون للغرب ما يصبو إليه كونهم بمثابة خط الدفاع الأول، والصُّهيونيّةُ لها أطماع أعم وأشمل تلتقي مع التوجه الغربي، وكلاهما يريد السيطرةَ على العالم، الصُّهيونيَّة أطماعُها التحكم عالميًّا في الاقتصاد والمقدرات، والغرب يشترك معها في ذلك ويزيد عليها السيطرة على الأرض إن أمكن ومن عليها، ومن ثمَّ فكل منهما يُقدم خدمةً جليلةً للآخر تحت ستارٍ من العقلانيَّة الأداتيَّة.

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ:

أَوَّلًا- المرَاجِعُ العَرَبِيَّةُ:

- أبو الحسن الندوي: إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، مطبعة ق، بومباي – الهند، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- أبو الحسن الندوي: الأمة الإسلامية وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل، القاهرة، دار الصحوة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- أبو الحسن الندوي: الإنسانية تنتظركم أيها العرب، الهند – لكناؤ، المجمع الإسلامي العلمي، بدون.
- أبو الحسن على الحسني الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط دار الجيل، بيروت، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورغن هابرماس «الأخلاق والتواصل»، دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩.
- أحمد إبراهيم الديبو: المتفق والمختلف في القيم الأخلاقية بين اليهوديَّة والمسيحية والإسلام.. دراسة مقارنة، مجلة ريحان للنشر العلمي الصادرة عن مركز فكر للدراسات والتطوير، عدد: ١٤، سبتمبر ٢٠٢١م.
- أحمد عبد الله الزغيبي: العنصرية اليهوديَّة وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- أحمد عمار عبد الجليل: الأخلاق في القرآن والتوراة والتلمود، دار نور حوران – دمشق، طبعة ٢٠١٨م.
- إيان كريب: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة: محمد حسين غلوم- محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد: ٢٤٤، يناير، ١٩٩٩م.
- حسن ظاظا: الشخصية «الإسرائيلية»، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
- حسن ظاظا والسيد محمد عاشور: شريعة الحرب عند اليهود، دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة، الأولى، ١٩٧٦م.

- حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت (النظرية النقدية التواصلية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- خالد حربي: قيم الأخلاق بين الفكر الإسلامي والغربي، نظرة تحليلية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، بدون.
- رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهوديَّة «الإسرائيلية» والروح العدوانية، عالم المعرفة - الكويت، طبعة ١٩٧٨م.
- رقية العلواني: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، دار الفكر - دمشق ٢٠٠٨م.
- روهلنج شارل لوران: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة يوسف حنا نصر الله، تقديم: مصطفى الزرقا وحسن ظاظا، دار القلم - دمشق، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- سعود بن عبد العزيز الخلف: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الرابعة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، الأولى، ٢٠٠٤م.
- فكري جواد: التلمود وأثره في الفكر اليهودي، طبعة مركز دراسات الكوفة، العراق، بدون.
- محمد مرتضى: صناعة التوحش.. التكفير والغرب، الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠١٦م .
- محمود كيشانه: إشكالية الإسلام والعلم عند رينان، دراسة نقدية، دراسة ضمن كتاب اللاهوت المعاصر دراسات نقدية، (العلم والدين)، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت- لبنان، الأولى، ١٤٤٠ه- ٢٠١٩م.
- محمود كيشانه: الإسلام والغرب عند الندوي، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
- ميكافيللي: الأمير، ترجمة أكرم مؤمن، الناشر: مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م.

- هند دخيل الله وصل القثامي: أثر عقيدة اليهود في موقفهم من الأمم الأخرى، رسالة ماجستير غير منشورة بقسم العقيدة بجامعة أم القرى عام ١٤٢٠هـ.

ثَانيًا- المرَاجِعُ الأَجنَبيَّةُ:

- Habermas: The Theory of Communicative Action. Translated By: Thomas Mc Carthy, Boston, Beacon Press, v (1), 1984.
- M. Hokhiemer: The Eclipse of Reason, New York, Continuum, 1974.

ثَالثًا- الرَّوَابطُ الإلِكترُونيَّةُ:

- حسام الدين فادي: نقد هابرماس للعقل الأداتي.. محاولة لتنمية البعد التواصلي للعقل الإنساني، على الرابط التالي:

  https://www.researchgate.net/publication/359847456<
- حسام الدين فياض: ممارسات العقل الإنساني ما بين العقل الأداتي والنقدي والتواصلي (رؤية تحليلية – نقدية(، بحث منشور على موقع مؤمنون بلا حدود، على الرابط التالي:

  <https://www.mominoun.com/articles/849199->
- حسام الدين فياض: فلسفة هابرماس.. نقد أسس العقلانية الأداتية، دراسة منشورة على الرابط التالي:

  <https://fikrmag.com/article_details.php?article_id=1547>
- سليم نصر الرقعي: حياة الغربيين هل هي وردية وجنة النعيم؟ الحوار المتمدن، ٩ إبريل، ٢٠١٣م.
- على الرابط التالي:

  <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=353580>